مدخل إلى الآداب العالمية- سنة ثانية ليسانس -.....د. حميدة سليوة

المحاضرة رقم5 :

الأدب التركي

يعتقد المؤرخون أن الأدب التركي واحد من أقدم الآداب الإنسانية، إذ تعود بداياته الشفوية إلى ما قبل التاريخ، حين كان الأتراك بدوا رحلا في ربوع آسيا، وقد بدأت الهجرات التركية إلى الهند والصين وفارس والقوقاز وآسيا الصغرى في حدود القرن 6م، ثم أسسوا دويلات في أجزاء من آسيا، وحملت معها تراثها الشفوي الفني والثري بالأساطير والمرويات والملاحم والأشعار الشفوية.

1-الأدب التركي قبل الإسلام:

عثر على أولى الكتابات التركية في جبال الطاي في حدود القرن الخامس ميلادي، وهي ما يسمى ب: كوك ترك"، وهي أبجدية تحوي 38 حرفا. وكان فك طلاسم هذه الأبجدية باب واسعا لمعرفة النماذج الأدبية الأولى من التعبير الإبداعي عند قبائل الأتراك بالإضافة إلى لغات أخرى: الأوزبكية والاذبيجانية، والجغطائية والقيوغيزية والياقوتية، وقد حافظت الثقافة التركة على جزء كبير من تراثها القديم، الذي تشكل فيه القصائد القسم الأكبر .

1-1-**الأساطير:** جزء مهما من التراث الشفوي التركي، وتعد **أسطورة"الخلق"** من أقدم الأساطير التركية:« **وهي ترجع أصل الكون إلى خالق متفرد، يسمى الإله قرة خان ويتجلى في ظهور وجه الأم البيضاء وهي تخرج من الماء. إن أول مخلوق لقرة خان وهو الإنسان الذي يحاول أن يسمو إلى أعلى من خالقه، ولذلك حرم من قوة الطيران وحكم بحياة مرتبطة بالأرض، ويظهر الشيطان في الأسطورة أقوى من الإنسان ولكنه عديم القوة أمام الإله»،**

وأسطورة **الذئب الأغبر** كذلك، فالذئب هو الحيوان الطوطم عند الأتراك أو ما يسمى ب"أسطورةالبوزقوت"، التي تحكي أنه في قديم الزمان كان الشعب التركي يعيش على الضفة الغربية من بحر الغرب، وقد هزموا في أعنف المعارك من طرف أعدائهم(لين)، حيث قتل الأتراك عن بكرة أبيهم، لم ينجوا من المذبحة سوى طفل صغير في العاشرة، حيث رماه الجنود في أحد المستنقعات، وعثرت عليه ذئبة حملته إلى المرتفعات، قامت بإرضاعه وجلبت له الحيوانات ليتغذى بها إلى أن شفى، وكبر هذا الفتى وتزوج الذئبة وأنجب منها 10 أولاد تناسل الأولاد وأنجبوا نساء ورجالا شكلوا الأمة التركية والجيش التركي الذي استرجع مجد الأجداد.

1-2-**القصص الشعبي :** كحكايات"**دده كوركوت**"Dede Korkut التي تسرد مآثر الأتراك، وأرخت:« **التحول إلى الإسلام نكهة إسلامية واضحة، متاب دده كوركوت المؤلف من اثنتي عشر اسطورة، يروي شعرا ونثرا مغامرات هجرة الأتراك الأوغور من أسيا الوسطى إلى آسيا الصغرى»، وهي قصص بطولة حربية** وقصص المعارك التي خاضها الأتراك ضد الصينيين ومنها ما هو مكتوب بالتركية الإيغورية.

1-3-**القصائد الملحمية** : وكما هي الملاحم في مجمل الآداب الإنسانية وصف خيالي شعري للأبطال والآلهة ، نجد في ملاحم الأتراك كما هي ملحمة**"أوغوز نامه":« وصفا لنشأة الكون بشكل دقيق ومعقول، وقصص أسطورية لنشأة الأتراك، وظواهر خارقة للطبيعة وكثير من الأساطير عن انتصارات وهزائم وهجرات وكوارث»**، حفظت نصوص الملاحم عبر العصور من خلال المنشدين الذين أطلق عليهم"أوزانيزن" أي شعراء مغنيين، وأحيانا "باهشيون" روى هؤلاء الشعراء الملاحم رفقة آلة وترية تسمى "قربوز"Koupuz

أ-ملحمة أرغينيكون: وهي قصة عن نشأة المجتمع التركي:« **هام على وجهه، وتخلص من الانقراض بفضل تناسل وحماية طوطم الذئب الأغبر»**، وتبلغ الملحمة ذروتها عندما تروي كيف حفر الأتراك نفقا في جبل قاس وكانوا سجناء وادي موت وكان الذئب الأغبر منفذهم.

ب-ملحمة أوغوز: التي تروي نشأة قبائل الإيغور ويعود أصلها إلى قبل عشرين قرنا:« **تروي بدقة وتفاصيل حياة البطل الأسطوري أوغوز الخارقة والشاملة والموضوعات المحورية هي البطولة والصراع والخلاص»**، وتوظف الملحمة قوى الطبيعة ومعجزاتها إلى جانب مظاهر الحياة اليومية.

ج-إلياذة الأتراك"دده كوركوت":

تحكي رحلة معاناة الترحال التي واجهتها قبائل الأوغوز في رحلتها التاريخية من أسيا الوسطى إلى الشرق الأوسط وهي ذات تأليف جماعي لهذا أخذت تتنوع بين عصر وعصر ومن بين التطورات التي خضعت لها الموضوعات الإسلامية التي أضيفت لها بعد اعتناق الأتراك الإسلام.

د- **ملحمة ماناس:** تحكي مناقب تاريخية للبدو الرحل بعد الإسلام، وحياة البطل التاريخي ماناس منذ ولادته وحتى كبر وخاض الحروب واستشهد، لكنه يبعث من قبره ليواصل الجهاد من جديد ويستعيد بلاد الإسلام من يد الأعداء ليستشهد ثانية، ويتابع حفيده الجهاد بعده.

4-1-الشعر الغنائي:

ويؤديه منشدون وشعراء غنائيون:« **عبروا عن الأحاسيس والأشواق والتناقضات الاجتماعية والآراء الناقدة للطبقات غير المتعلمة بلغة عفوية صادقة بسيطة مستخدمين الصيغ الشعرية والأوزان المقطعية التركية، وغالبا ما ارتجل وغني برفقة الموسيقى»**، تميز هذا الشعر بالسجع والصنعة اللفظية وأغلب موضوعاته عن الحب والشوق والطبيعة والبطولة والتصوف، نشأت هذه القصائد في آسيا الصغرى الرحل والمستقرين من القبائل، ولا تتوفر منها إلا النسخ الايغورية المدونة باللغة الصينية، كما هو موشح"أبرين تشور تيغين" **قصيدة حب**، كما في هذا النموذج الذي يوضح الأسلوب المتقن والرفيع للشعر التركي القديم:

«**فتيات ينسجن قماشا على حافة النافذة**

لا أسمع صوت النول

لكنني أسمع أنفاس تلك الفتيات»، البعض من هذه الأشعار معلومة المؤلف، لكن الكثير منها يعد تراثا جماعيا تتشارك الأجيال المتعاقبة في نسج أبياته، وكانت أغاني الحب والفرح تنشد في كل المناسبات والاحتفالات الشعبية.

5-1-الشعر الاجتماعي والشعائري:

أنتجت المجتمعات التركية القديمة أنواعا شعرية عديدة لمختلف المناسبات الدنية والاجتماعية، كالقصائد المغناة في مناسبات ما قبل صيد العجول والمهرجان الاحتفالي ما بعد الصيد حيث كان:« **كان الشعر من العناصر الحيوية في الجنائز والمناسبات التذكارية حيث كانت تتلى مرثيات تدعى"ساغو"»**، يشكل الشعر في التراث التركي أهم مكون وهذا على غرار التراث العالمي أجمع، فقد شكلت تقاليد أنشاد الشعر ركنا أساسيا في جميع الاحتفالات الشعبية وواكب الشعر من خلالها تطورات المجتمع التركي وسجل ما مر عليه من محن ونكبات وما حققه من انتصارات، اعتمد على بنية

معينة من الأبيات : يتكون البيت في الشعر التركي القديم من شطرين أو ثلاثة أشطر، وأحيانا أربعة مع التزام واضح بالقافية.

تقدم هذه القصائد في مشاهد تمثيلية« **تؤدي في مكان مقدس يتعذر فيه اختلاط النساء بالأجانب، ولا يقبل فيها اختلاط الأجانب والأطفال والنساء، ويمكن اعتبارها طقوسا وشعائر دينية**»، وضروب منها كان هدفه الفرجة والتسلية

2- الأدب التركي في الإسلام:

بداية من القرن التاسع ميلادي اعتنق الأتراك الإسلام مع الأتراك القرقيز، حيث قامت القبائل القرقيزية بالدعوة إلى الإسلام، والأكيد أن هذا الحدث سيترك بصمة واضحة وقوية في الأدب التركي، بداية بكتابة التركية بحروف عربية، وهذا ما زاد في المعجم التركي كلمات عربية وفارسية، ويمكن تقسيم الأدب التركي الإسلامي إلى حقبتين: فترة **ما قبل العثمانيين** وتضم الأدب التركي من بداية الفتح الإسلامي إلى القرن الثالث عشر ميلادي، ومن ثم تبدأ الفترة العثمانية التي تمتد حتى بداية القرن العشرين.

أهم أدباء العهد الإسلامي الأول "عهد القرخانيين": قرشجرلي محمد صاحب"ديوان لغة الترك"، **ويوسف خاص حاجب** وكتابه"قوتاد كوبليك"-أي علم الحقيقة-، وأديب أحمد وكتابه" عتبة الحق"، وانتشرت في هذا العصر:« **المراثي والملاحم التي تصور حكايات الحروب تمثل بعض الموضوعات هذه المنظومات، ثم ظهرت بعد حين أشعار الصيد والقنص والمقتبسة والمستلهمة من الحياة اليومية ناهيك عن ظهور أشعار العشق والخمر والحكمة**»، انتشرت بين الطوائف المسلمة في البلاد التركية أشكال أدبية هي: المراثي والملاحم كما هي ملحمة ماناس، التي لا تزال تقليدا شعبيا ينشد ويمثل في المناسبات والاحتفالات، وأغاني الصيد وأشعار العشق والخمر وشعر الحكمة.

أما **يوسف خاص حاجب**: صاحب كتاب **علم الحقيقة** أو علم السعادة، فقد احتوى:« **الكتاب على ثلاثة وسبعين فصلا وستة ألاف وخمسمائة بيتا من الشعر، مقطوعات في مناجاة الحق سبحانه وتعالى والثناء على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم....يقسم الشعر ملكات الإنسان إلى أربعة أقسام أساسية هي: العدالة والسعادة والعقل والقناعة** »، وهو منظومة غنية بالمحاورات والمناظرات والأفكار الفلسفية والاجتماعية وحتى اقتصاد الدولة، يعطي صورة واضحة عن الأعراف والتقاليد التركية والايغورية، جاء على نمط الشاهنامة الفارسية من حيث النظم والوزن. أما أديب أحمد وكتابه عتبة الحق أو عتبة الحقائق:« **مكتوب بالتركية الخاقانية في القرن السادس مجري هو بمثابة رسالة نصح وإرشاد، ناهيك عن كونه أثرا تعليميا دبج وفق دينية خالصة تتصل اتصالا مباشرا بالأخلاق الفردية**»، يناجي فيه الشاعر الله تعالي ويمدح الصحابة الكرام، ثم يمدح الأمير"محمد بيك"، وهي منظومة غنية بالحكم والمواعظ كمنفعة العلم ومضرة الجهل، والثناء على مكارم الأخلاق كالجود والكرم، وفي المقابل ذم البخل والشح، وجاءت على وزن المثنوي، وكان بحق :« أول شاعر تركي ينتج عملا إبداعيا رائدا"كونادغو بيليغ" في القرن الحادي عشر».

ولا يمكن أن نكمل الحديث عن أدب"**ما قبل الفترة العثمانية**" دون الحديث عن الأدب السلجوقي وأدب الأناضول، حيث تطورت القصيدة التركية كثيرا والمثنوي كذلك، وفق مقتضيات المرحلة حيث تلاقح الشعر مع الأفكار الدينية والفلسفية مع "**أنوري**"، ودمجت الأشعار مع حكايات العشق مع "**أمير مغري خاقاني**" وقصص خسرو وشيرين

ويوسف وزليخا. والأكيد أن "الشعر الصوفي" من أهم الأشكال الفنية في الأدب السلجوقي، مع أعظم شعراء الأناضول"**جلال الدين الرومي**" أكبر علماء المتصوفة وصاحب الديوان الكبير والرباعيات والمثنوي، الذي يعد"مصحف الصوفية":« **تمثل أعظم تركيب للشعر والفلسفة في العالم يمزج بين المعايير اللفظية والسردية والملحمية والتعليمية والسخرية والهجاء والرثاء**»، يعد المثنوي موسوعة من الأفكار الفلسفية والأساطير الشرقية واليونانية وقصص الأنبياء والصالحين ، في قالب شعري يستمد إلهامه من حب الله تعالى يقول:«**دين الحب مختلف عن كل الأديان**

ليس لحبي الله دين آخر سوى الله وحده»، وهي نظرة إنسانية سامية تدعو إلى الوحدة في حب الله وإلى السلام.

وتمتد **الفترة العثمانية من 1299إلى 1922**، تميزت بتنوع الفنون الشعرية دون غيرها خاصة أغراض المديح والوعظ والحكمة والحماسة والوصف، مع ثلاث أنواع أدبية مميزة لهذا العصر: **أدب التكية والأدب الشعبي الشفوي وأدب الديوان**، وقد:« **احتضنت الإمبراطورية العثمانية تراثا مسرحيا مكونا من مسرح خيال الظل, والمداح(الحكواتي المقلد)، والمسرح الشعبي**»، وهو تقليد شعبي هدفه التسلية والإضحاك ويقدم في الأسواق والمقاهي. ازدهر **شعر التكية** بين مريدي الحلقات الدينية و:« **بين الصوفيين وشيوخ الطرائق الدينية وإتباع مذاهب وطوائف مختلفة**»، وخاصة الاختلافات بين المذاهب والفرق كالسنة والشيعة مثلا وأشهر شعراءه **سلطان ولد**-ابن جلال الدين الرومي- وعاشق باشا، وغير بعيد عن شعر التكية ازدهر بقيادة **سليمان جلبي** المديح النبوي الشريف ولا تزال منظوماته ليومنا هذا تنشد في ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم.

انتشر **الشعر الشعبي** إلى جانب أدب التكية، هو شعر مشاعر وأشواق مفعم بالموسيقى والأنغام: مع "**كوز أوغلو**" الذي تخصص في شعر البطولة والحروب، **وكاراجا أوغلان** في الغنائيات والحب ووصف الطبيعة والعاشق عمر وجوهري في النقد الاجتماعي. أما **الشعر الديواني** فهو شعر نخبوي موجه للبلاط: « **ألف شعر الديوان نخبة مفكرة تتبع البلاط غالبا، أو ألف من أجلها** »، من أهم من نظم فيه: محمد الفاتح والسلطان سليمان القانوني، والشاعر **فضولي** وله في شعر الديوان ثلاثة دواوين بالتركية والعربية والفارسية، و الشاعر **أحمدي ومحمد باشا**.

3- الأدب التركي في القرن العشرين:

بعد معاهدة لوزان1923 انطوت صفحات تاريخية كان اسمها "الإمبراطورية العثمانية"، وضعت بعدها أسس لدولة تركية حديثة أدارت بظهرها لماضيها الإسلامي وتعتبر نفسها قطعة من أوروبا، ومع قيام النظام الجمهوري بدأت مرحلة جديدة في الأدب التركي:« **تبلورعتها شعوروطني يرى مسرى الكهرباء بين الكتاب والشعراء والقصصيين والمثقفين الذين راحوا يبحثون عن الذاتية التركية في أنقاض الإمبراطورية العثمانية**»، التي كانت تبسط سيطرتها على حوض المتوسط وتجمع مزيج متنوعا من العقائد والأعراق، إلى أن يبرز تيار طليعي قاده **أديفار وجونتكين** وكارو **عثمانو غلو**، حمل على عاتقهم مهمة التعبير عن هموم الفلاح الأناضولي وهموم الحياة الريفية كما في قصة"الاجنبي" للكاتب عثمانوغلو 1932 وهو ما يسمى ب:النزعة الأناضولية في الأدب التركي، وهو تيار يحمل أبعادا اجتماعية واقتصادية ينادي بحقوق الفلاحين في مقابل استعلاء الأثرياء.

وبداية من خمسينيات ق 20 ظهر جيل جديد يواكب التطورات الفنية والموضوعاتية الحاصلة في الآداب العالمية:« أسلوب الملحمة والنغمة الغنائية التي كثيرا ما تتسم بالجفاف والدقة التي تكسبها قوة حاصة كما في أسلوب **ماكال**» [1]، مقتدين بكتاب غربيين أمثال كافكا وألبير كاميه وفرجينيا وولف، متخلين عن السرد التقليدي، ومركزين على تحليل الشخصيات، معتمدين على حبكة مختصرة أو غائبة، معبرين عن قلق وجودي تولد من تهميش الإنسان في العالم الجديد. أما في الشعر فقد برز وبدون منازع **ناظيم حكمت** الذي:« **تخلص حكمت من قيود العروض الموروثة عن الشعر العربي، وتنكر للخليل، كما تجنب الأوزان الغربية، فاختار التحرر من القافية والأوزان لشعر صادق التعبير وجميل اللفظ مشبع بالفلكلوروالتراث الشعبي**» ، نجح حكمت في تغليف أفكاره الاشتراكية بالأوزان والقوافي، والشعر بالنسبة إليه هو وسيلة للتغيير الثوري لأوضاع المجتمع، وكان له الأثر القوي في الجيل الذي تلاه خاصة:**رفعت رملي وسرقديت وأنداي وأورهان**، الذين اعتمدوا على غراره واللغة الشعبية والشعر الحر واستقوا موضوعاتهم من الحياة اليومية، لهذا سادت النبرة المتذمرة والساخرة اللاذعة.

1-المرجع نفسه، ص 127.